معالم الطريق الصوفي

عند الإمام عبد الحليم محمود (رحمه الله)

"دراسة تحليلية"

إعـداد الأستاذ الدكـتور

عـواد محمود عـواد سالـم

أستــاذ ورئيــس قســم العقيــدة والفلسفة

بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهـر

بسم الله الرحمن الرحيم

معالم الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود - رحمه الله - "دراسة تحليلية"

عواد محمود عواد سالم

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الجامعي: Awadsalem.11@azhar.edu.eg

الملخص:

تميز الأزهر، فأعلى قيمة التربية الخلقية والسلوكية في باب الأخلاق والسلوك، والتي تهتم بمراعاة الخالق في كل شيء، وهذا هو مقام الإحسان، ومن هنا: كان الجانب الصوفي جانبًا واضحًا متميزًا في فكر وفي سلوك مشايخ الأزهر الشريف، ومن بين رجال الأزهر وأعلامه الذين عرفوا بتصوفهم علمًا وحالًا: الإمام الأكبر، فضيلة الأستاذ الدكتور/ (عبد الحليم علي محمود) (رحمه الله)، ومن هنا كانت هذه الورقة الموجزة بعنوان: معالم الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود، ويتألف من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: أما المقدمة: ففيها تمهيد للموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة، وأهم الدراسات السابقة، وخطة البحث. وأما المبحث الأول: ففيه بيان لحقيقة التصوف عند الإمام عبد الحليم محمود. وفي المبحث الثاني: إيضاح لجوهر الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود. وفي المبحث الثالث: تلخيص لأهم ثمرات الطريق الصوفي. أما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات.

<u>ومن أهم نتائج البحث:</u> أن الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود عبودية لازمة صادقة، وبهذا المعنى يكون مساويًا في مفهومه لمفهوم الدين؛ إذ إن التصوف هو قيام بالتكليف، قيام شوق ومحبة، لا قيام كلفة ومشقة.

الكلمات المفتاحية: معالم – التصوف – الحال – المقام – التوكل – المحبة – العبودية.

Characteristics of the Sufi Path for Imam Abdel- Halim Mahmoud (May Allah have Mercy on him) "An analytical Study"

By: Awaad Mahmoud Awaad Salem
Department of Creed and Philosophy
Faculty of Osoul Al- Deen in Cairo
Azhar University

Abstract

Being distinguished, Al-Azhar Al- Sharif has emphasized the value of moral and behavioral education in the field of ethics and behavior, which is concerned with observing the Creator in everything. This signifies the true meaning of benevolence, and henceforth, the Sufi aspect becomes clear and distinct in the thought and behavior of the grand sheikhs of Al-Azhar Al-Sharif. Among the men of Al-Azhar and its scholars who were known for their Sufism in knowledge and state, the Grand Imam, His Eminence Professor/ (Abdel- Halim Ali Mahmoud) (May Almighty Allah have mercy on him). Accordingly, this research paper entitled: Characteristics of the Sufi Path for Imam Abdel- Halim Mahmoud, consists of an introduction, three research investigations, and a conclusion. The introduction introduces the topic, discusses the reasons for choosing it, methodology of research, the most important previous studies, and the research plan. The first investigation explains the reality of Sufism for Imam Abdel Halim Mahmoud whereas the second investigation clarifies the essence of the Sufi path for Imam Abdel-Halim Mahmoud. The third investigation summarizes the most important benefits of the Sufi path. The conclusion contains the most important findings and recommendations. For instance, according to Imam Abdel- Halim Mahmoud, the Sufi path constitutes a sincere and necessary servitude, and in this sense, it is equal to the concept of religion; since Sufism is the fulfillment of the obligation, the fulfillment of longing and love, not the fulfillment of pretension and hardship.

Key words: characteristics, Sufism, status, position, trust, love, servitude

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد، الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

ففي مستهل دراسة معالم الطريق الصوفي عند الإمام الأكبر/ عبد الحليم محمود – رحمه الله –، لابد من التقديم لهذه الدراسة بمقدمة تشتمل على تمهيد لموضوع الدراسة، والأسباب التي دعت إلى دراسته، والمنهج المتبع في البحث، وخطة البحث، وفيما يلي تفصيل هذه العناصر:

أولاً: تمهيد للموضوع.

الأزهر الشريف مؤسسة عريقة، بزغ نورها إلى العالم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، أراده الفاطميون لنشر مذهب الشيعة الإسماعيلية، وأرده الله لنصرة الإسلام الوسطي السمح، الذي ارتضاه الله دينًا للعالمين، فكان ما أراده الله، وما شاء كان، فصار الأزهر الشريف بكل مؤسساته منارةً للدعوة إلى الله على بصيرة.

من أهم ما يميز المؤسسات التعليمية مناهجها، وإذا احتكمنا إلى المنهج جاء أزهرنا الشريف في المقدمة؛ لأن المنهج الأزهري هو في ذاته منهج الإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، فهو منهج وسط جامع بين النص الصحيح والعقل المستنير، وبهذا الجمع الراقي كان رواد المنهج الأزهري ينظرون بالعينين معًا: عين الوحي المقدس، وعين العقل المتبصر.

ويعبر عن هذا الاتجاه الإمام محمد عبده بعبارة رائقة فيقول: "والذي علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، والعقل من أشد أعوانه،

والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك: فنزعات شياطين وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كلٍ بعمله، قاضٍ عليه في صوابه وخطئه"[1].

وكما تميز المنهج الأزهري في عقيدته الأشعرية التي تمثل عقيدة النمط الأوسط من الأمة، وتميز كذلك في شريعته بتنوع المذاهب الفقهية، كذلك في باب الأخلاق والسلوك تميز الأزهر، فأعلى قيمة التربية الخلقية والسلوكية، والتي تهتم بمراعاة الخالق في كل شيء، وهذا هو مقام الإحسان، وصح بذلك أن الأخلاق هي ثمرة بناء العقيدة والشريعة في ذات الإنسان، فالمنهج الخلقي الذي يعتمده الأزهر ليس منهجًا شكليًا، أو مجرد انتساب إلى طريقة معينة، وإنما هو طريق يهدف إلى التحلي بكل خلق سني، والتخلي عن كل خلق دني، وهذا الطريق يعنى الالتزام بمنهج الكتاب والسنة، ولتحقق أعلام الأزهر بهذه القيم أيدهم الله – تعالى – بكرامات اشتهرت عنهم، ورآها تلامذتهم.

ومن أصدق كراماتهم: توفيقهم إلى القيام بحق العلم، وتيسير العلم لهم، وتوفيقهم إلى تآليف كثيرة قيمة في زمن يسير، لا يتفق مثلها إلا بإمداد إلهي.

ومن هنا: كان الجانب الصوفي جانبًا واضحًا متميزًا في فكر وفي سلوك مشايخ الأزهر الشريف، ومن بين رجال الأزهر وأعلامه الذين عرفوا بتصوفهم علمًا وحالًا: الإمام الأكبر، فضيلة الأستاذ الدكتور/ (عبد الحليم علي محمود) – رحمه الله – .

ثانيًا: أسباب اختيار موضوع البحث:

بالإضافة إلى ما تقدم هناك أسباب دعت إلى دراسة هذا الموضوع، ومنها:

١- الرغبة في الإسهام بنصيب في دراسة قضايا ومفاهيم علم التصوف، وهو من العلوم التي

(١) رسالة التوحيد، صـ ٢١، تأليف: الإمام محمد عبده، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥م.

تخاطب الروح، وتوقظ الوجدان، ودراســة هذا النوع من العلوم تأخذ الدارس إلى حالة من التجرد والرقي عن الجانبين: المادي والعقلي معًا، وتجعله محلقًا في آفاق روحانية، معايشًا السادة الصوفية في مقاماتهم وأحوالهم، مستغرقًا في عباراتهم، ومثل هذه الحالة تُغْرِي الباحثين - لا سيما المتخصصين - بالاغتراف من نبع التصوف الفيَّاض، والأخذ بنصيب وافر من دراسة بعض جوانبه وقضاياه الثرية.

٢- محاولة البرهنة - من خلال الفكر الصــوفي عند الإمام عبد الحليم محمود - على أن القوم أهل علم وســلوك، وأن علومهم لم تكن مجرد فلتات خاطر، بل كانت علومًا مؤصلة، قائمة على أسسٍ من مصادر التشريع الإسلامي، وعلى فهمٍ عميق لطبيعة النفس الإنسانية وقواها.

٣- بيان أن الصــوفية - مع ما لهم من طريقة خاصَّــة في ضــبط المفاهيم - لم يقطعوا صــلتهم باللغة العربية، وهذا يدفع عنهم ما قد يُتَّهَمُون به من تأويلية مفرطة، يباينون بها ظاهر اللغة تمام المباينة.

٤- دفع الأوهام حول مفهوم التصوف الإسلامي وأصالته، وبيان أن التصوف علم وسلوك.

ثانيًا: منهج البحث:

أما عن منهج البحث: فقد اتبعت في دراسة هذا الموضوع منهجين مختلفين متكاملين:

أولهما: المنهج الوصــفي في نقل آراء وأقوال الصــوفية في مفهوم التصــوف ومعالم الطريق الصوفي.

ثانيهما: المنهج التحليلي في الوقفات مع نصوص الإمام عبد الحليم محمود، وغيره من الصوفية، والتعقيب عليها.

ثالثًا: خطة البحث: يتألف هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة: ففيها تمهيد للموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة، وأهم الدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: حقيقة التصوف عند الإمام عبد الحليم محمود.

المبحث الثاني: جوهر الطريق الصوفي.

المبحث الثالث: ثمرات الطريق الصوفي.

أما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات.

والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل،،

د/ عواد محمود عواد سالم

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة

المبحث الأول

حقيقة التصوف عند الإمام عبد الحليم محمود.

أشتقاق كلمة تصوف:

قضية أصل التسمية ولقب هذه الطائفة من أشهر النقاط التي اختلف فيها؛ ومما قيل في أصل كلمة تصوف واشتقاقها:

١- أن لفظ (تصـوف) تحريف لكلمة (سـوفيا) اليونانية، والتي تعني: الحكمة؛ فإن حكماء اليونان المسمون بـ (السوفية) كانوا يرون أن الوجود الحقيقي للعلة الأولى، ولا وجود لما سـواه على الحقيقة، بل وجود العالم كالخيال، ولما ذهب قوم من حكماء الإسـلام إلى قريب من قول حكماء اليونان سـموا باسـمهم؛ فقيل: (صـوفية)، بعدما ما أصـاب الكلمة الأولى التحريف.

وهذه النسبة لا تستقيم من ناحية الاشتقاق الصرفي؛ ولا تصح أيضًا تاريخيًا؛ لأن التصوف عُرف في الإسلام قبل ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية.

٢- أن لفظ (تصـوف) مشـتق من (الصـفِّ الأول)؛ فإن القوم كانوا في الصـفوف الأولى في العبادة، وفي العلوم، والجهاد، وفي كل مقامات العلو والرقي.

ولكن هذا الاشتقاق لا يستقيم لغويًا؛ فإن النسبة اللغوية الصحيحة إلى (صف) صفِّيٌّ، وليست (صوفي).

٣- أنه مشتق من (الصفاء)؛ لأن الصفاء هو الغالب على حالهم، فنسبوا إليه.

ولكن القياس اللغوي لا يشهد لهذا الاشتقاق أيضًا؛ إذ النسبة إلى (صفاء): صفائي أو صفاوي وليس صوفي، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة.

ثم إن دعوى صفاء النفس ليس لها دليل يثبتها في الخارج إذ هو أمر داخلي لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، ولا يصح أن يعتمد في إثبات الدعوى على أمر داخلي لا يعلمه إلا الله.

٤ – أنه مشتق من (صُفَّة مسجد النبي – صلى الله عليه وسلم –)، وهم قوم من فقراء المهاجرين، ولم يكن لهم مسكنٌ، وكانوا حوالي أربعمائة إذا كثروا، وسبعين إذا قلوا، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[سورة البقرة ٢٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[سورة الأنعام٥٢].

٥ – يرى بعض أئمة الصوفية: كالإمام الغزالي، والكلاباذي والسهروردي، أن التصوف منسوب إلى لبس الصوف، يقال: تصوف إذا لبس الصوف؛ وذلك لأن الصوف كان غالب لباس القوم؛ لخفة مؤنته، وخشونته، وبعده عن الترف والنعومة، وكونه لباسًا للأنبياء والصالحين والزهاد والعباد.

ونسبة القوم إلى غالب لباسهم: نسبة بحسب ظاهر حالهم، وهذا ما يمكننا معرفته، أما بواطِنهم وأسرارهم: فلا يعلمها إلا الله[(١)].

أما عن رأي الإمام/ عبد الحليم محمود في هذه الجزئية:

فبعدما عرض الأقوال في اشتقاق التصوف اختار أن النسبة الأرجح نسبته إلى الصوف؛ فهي صحيحة من جهة اللغة، كما أنها متمشية مع حالهم؛ فإن لبس الصوف دالٌ على ميلهم للزهد في متاع الدنيا، ولزومهم العبادة.

---

(١) راجع الرسالة القشيرية صـ٥٧٨، تأليف: أبي القاسم القشيري، طبعة سقيفة الصفا العلمية، لبوان، ماليزيا، عام ٢٠١٦ (طبعة خاصة للأزهر الشريف)، ورفع الملام عن الصوفية الأعلام، صـ١٣، أ.د/ محمد ربيع محمد جوهري.

وفي هذا المقام يدفع ما قد يتوهمه البعض من أن نسبة التصوف إلى الملبس، وهو شكل ورسمٌ قد يُفهم منه أن التصوف مجرد مظاهر جوفاء؛ فإن التصوف لا صلة له بالمظاهر، بل كانت المظاهر من دلائل وأمارات حال القوم؛ وذلك لأن كلمة تصوف لم توضع في الأصل للتصوف بمعناه المادي، وإنما وضعت لتدل على نمط من العزوف عن الدنيا، إنها كانت علامة الزاهدين والمتنسكين، فسُمي بها هؤلاء الذين انصرفوا عن الدنيا(١).

يقول الإمام عبد الحليم محمود: "إذا كانت الكلمة تُنسب إلى الملبس، وهو مظهر وشكل ورسم، فليس معنى ذلك أن التصوف مظاهر وأشكال.

وليس من المحتم دائمًا أن يكون المعنى الأصلي للاسم هو المراد مما وُضع الاسم له؛ إذ المعنى الأصلي قد يتطور ويتغير ويختلف، وقد يُقصد عكسه؛ ومن أجل ذلك فإنه لا مجال لتخوف هؤلاء الذين لا يريدون أن ينسبوا التصوف إلى الصوف بحجة أن انتسابه إلى الظاهر يحط من شأنه"(٢).

مفهوم التصوف اصطلاحًا:

بادئ ذي بدءٍ أقول: إن التصوف الإسلامي علم أصيل نشأةً وتطورًا، مصدره القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ومأثورات الصحابة، والتابعين، والصالحين من بعدهم، ولقد كان التصوف في بداياته الأولى – في القرنين الأول والثاني الهجريين – معتمدًا على التهذيب الخلقي، فكان سلوكًا عمليًا، وطريقة حياة، أكثر منه علمًا مُقَنَّنًا؛ ولذا كانت تعريفات التصوف في هذه الحقبة مُعَبِّرَةً عن جوانب عملية: كالزهد، والعبودية، ومكارم الأخلاق،

---

(١) راجع أبحاث في التصوف مع كتاب (المنقذ من الضلال)، صـ١٧٤، تأليف: الإمام الأكبر د/ عبد الحليم محمود، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثامنة، عام ١٩٧٤م.

(٢) أبحاث في التصوف صـ١٧٤.

ويعبر عن هذا (أبو الحسن النوري)(١) بقوله: "التصوف ليس بعلوم، ولا برسوم؛ إذ لو كان علمًا لحصل بالتَّعَلُّمِ، ولو كان رسمًا لحصل بالمجاهدة، ولكنه أخلاق، والتخلق بالأخلاق ليس من العلوم ولا الرسوم"(٢).

أما في مراحله التالية: فقد ضمَّ التصوف إلى سِمَتِهِ العملية جانبًا آخر، وهو الجانب النظري الذي حلَّى فيه علماء الصوفية تصوفهم العملي بالقوانين النظرية الضابطة، والنظريات العلمية العميقة، ذات الصبغة الفلسفية، بالإضافة إلى اللغة الرمزية التي استعملها الصوفية في التعبير عن مقاماتهم وأحوالهم، هذا فضلًا عن السمة الذاتية للتصوف التي تقتضي أن يُعَبِّرَ كلُ صوفي عن مواجيده وفقًا لحالته الخاصة.

كل ذلك تمخض عن طريقة خاصة للسادة الصوفية في تناولهم للموضوعات، وفي ضبطهم للمفاهيم، يقول الإمام (أبو القاسم القشيري، المتوفى سنة ٤٦٥ هـ): "وهذه الطائفة يستعملون ألفاظًا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، بعضهم مع بعض،

(١) أبو الحسن النوري: هو أحمد بن محمد، أبو الحسين، النوري، خراساني الأصل، بغدادي المولد والنشأة، كان من أجلاء مشايخ الصوفية، صحب السَّريُّ السَّقَطِيُّ، ومحمد بن علي القصَّاب البغدادي، وأبي القاسم الجنيد، توفي عام ٢٩٥ هـ. راجع: الطبقات الصوفية صـ٥١، تأليف: أبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: الأستاذ أحمد الشرباصي، ط مؤسسة دار الشعب، ط ثانية، ١٩٨٨م.

(٢) تذكرة الأولياء، صـ٤٧٦، فريد الدين العطار، تحقيق: محمد أديب الجادر، ط إيران ٢٠٠٨، ولمزيد من البيان لطبيعة وخصائص المراحل الأولى للتصوف يراجع: المقدمة صـ٣٢٨، تأليف: عبد الرحمن بن خلدون، طبعة دار ابن خلدون، الإسكندرية، بدون، وتقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لكتابه تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، طبعة وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٥م، والتصوف الثورة الروحية في الإسلام صـ٨٩، تأليف: د/ أبو العلا عفيفي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠١٣م.

والستر على من باينهم في طريقتهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمةً على الأجانب غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها؛ إذ ليست حقائقهم مجموعةً بنوع تكلفٍ، أو مجلوبةً بضرب تصرفٍ، بل هي معانٍ أودعها الله في قلوب قومٍ، واستخلص بحقائقها أسرارَ قومٍ"[(١)].

وعن مصطلح التصوف - كعلم - فهو يعتمد على التجربة الخاصة، وهو - كذلك - متعدد الجوانب، متنوع الاتجاهات، وغاية الكل واحدة، وهي التوجه إلى الله (تعالى).

من أجل ذلك تنوعت تعريفات التصوف وتعددت، ومما قيل في تعريفه:

١ - التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني.

٢ - التصوف أخلاق كريمة.

٣ - التصوف الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله باتباع سننه ولزوم ظاهر العلم.

٤ - التصوف هو الصدق مع ا لحق وحسن الخلق مع الخلق.

٥ - هو بذل المعروف وكف الأذى.

٦ - التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة.

٧ - التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به.

٨ - التصوف ترك كل حظوظ النفس.

٩ - هو برقة محرقة[(٢)].

هذه بعض التعريفات التي ذكرت في كتب الصوفية، وهي - كما نلاحظ - تعبر عن

(١) الرسالة القشيرية صـ٢٢٥، ولمزيد بيان فيما يتعلق بالتصوف العلمي النظري يراجع: التصوف الثورة الروحية في الإسلام صـ٩٦.

(٢) راجع الرسالة القشيرية، صـ٥٧٨، ورفع الملام عن الصوفية الأعلام، صـ٢٠.

وجهات نظر خاصة، وعن تجارب ذاتية لأصحابها، وهذه هي طبيعة العلم وميزة هذا الطريق.

ولا ضير في ذلك؛ فإن هذه التعريفات تعبر عن طرق متنوعة لمقصدٍ واحد؛ فإن غاية القوم جميعًا - على اختلاف طرقهم - واحدة، وهي: قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله (تعالى)، وتحليته بذكره (سبحانه).

وبهذا فالتصوف بحق - على حد تعبير الدكتور/ أبو العلا عفيفي - هو المظهر الروحي الديني الحقيقي عند المسلمين لأنه المرآة التي تنعكس على صفحتها الحياة الروحية الإسلامية في أخص مظاهرها فإذا أردنا أن نبحث عن العاطفة الدينية الإسلامية في صفائها ونقائها وعنفها وحرارتها وجدناها عند الصوفية[1].

(١) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، صـ٩١.

المبحث الثاني

جوهر الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود

يرى الإمام عبد الحليم محمود أن للصوفية طريق روحي يسيرون فيه، وهذا الطريق يعتمد أساسًا ومنهجيًا وغايةً على الكتاب والسنة، وهذا الطريق جربه السادة الصوفية، فآتى أكله، وأثمر ثماره، عن طريق التجربة.

وجوهر الطريق الصوفي هو المسمى عند القوم بالمقامات والأحوال.

والمقامات هي: المنازل الروحية التي مر بها السالك مترقيًا سائرًا إلى الله - تعالى -؛ لكي يتدرج في السمو الروحي، من شريف إلى أشرف، ومن سامٍ إلى أسمى، وهذه المقامات مفتتحة بالتوبة، مختتمة بتمام التوكل على الله - تعالى - وتسليم القياد له، وبينها منازل شريفة: كالزهد، والورع، والصبر، والفقر، وغيرها من مقامات سنية، وهذه المنازل لابد لها من جهاد وتزكية؛ ولذلك فالمقامات - عند القوم - مكاسب، إنها اجتهاد في الطاعة، ومواصلة في التسامي في تحقيق العبودية، فهي لا تكون إذًا إلا ببذل المجهود.

أما الأحوال: فهي النسمات الروحية التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمر تاركةً عطرًا تتشوق الروح للعودة إلى تنسم أريجه، وهذه الأحوال مواهب يمن بها على من شاء من عباده، وهذه الأحوال مثل: المحبة، والرضا، والشوق، والأنس بالله[(١)].

(١) راجع أبحاث في التصوف صـ١٨٧ـ١٨٨.

أصل ومستند الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود:

إذا كان جوهر الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود هو تلكم المنازل الروحية المسماة بالمقامات والأحوال، فإن لهذا الطريق – عنده – أصلًا ينطلق منه، وينبني عليه، وهو: حب الله ورسوله.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود: "وهذا الطريق الصوفي الذي نتحدث عنه يستند إلى مقياس يزن به نفسه، وهو الاقتداء برسول الله – ﷺ- ولا يتأتى الاقتداء به – صلوات الله وسلامه عليه – ما لم يملأ حب رسول الله – ﷺ- جميع أقطار النفس"(١).

ومحبة الله ورسوله هي أصل الطريق، وهي شرط كمال الإيمان، كما دلت على ذلك النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة٢٤]، وفي معنى هذه الآية حديث يرويه الإمام البخاري في صحيحه –رحمه الله– بسنده من حديث عبد الله بن هشام –رضي الله عنه– قال: (كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: **لا**، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: **الآنَ يا عُمَرُ**)(٢).

---

(١) أبحاث في التصوف صـ١٨٩.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده من حديث عبد الله بن هشام التميمي ـ رضي الله عنه ـ، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ـ ﷺ ـ، حديث رقم ٦٢٥٧.

ومحبة الله ورسوله التي يبدأ الصوفية منها سيرهم إلى الله – تعالى – ليست مجرد شعارات قولية، أو تعبيرات لفظية، لا تتجاوز الألسنة، بل لابد أن تكون عقيدة قلبية، ينعكس أثرها على السلوك اتباعًا واستقامة؛ ولذا كانت المحبة الحقيقية هي محبة الاتباع والإيثار، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران٣١]، وإلى معنى الإيثار الذي تقتضيه محبة الله ورسوله يرشدنا النبي – ﷺ – فيقول: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)[١].

إذًا: محبة الله – تعالى – ورسوله إنما هو اتباع وطاعة، وإيثار ما يحب الله ورسوله على ما يحبه المرء، بحيث إذا تعارضت أمور الدين مع المصلحة الشخصية، أو مع أمور الدنيا، فإنه يجب على المرء أن يؤثر أمور الدين على غيرها.

وبعد تأكيد هذا الأصل يتابع السالك سيره عبر المقامات والأحوال، وفيما يلي نبذة موجزة عن بعض المقامات والأحوال التي جوهر الطريق الصوفي:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – ، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم ٤٣.

مقامات وأحوال السائرين إلى الله تعالى:

١ - التوبة:

وهي أول مقامات السائرين إلى الله – تعالى – وهي اللبنة الأولى في الطريق إلى الله (تعالى)، وهي اللبنة الأولى في طريق إسلام الوجه إلى الله.

والتوبة هي الرجوع عن كل شيءٍ ذمه العلم إلى ما مدحه العلم، وهذا يتوافق مع مفهومها في اللغة، فالتوبة في اللغة: هي مطلق الرجوع، والمراد بالرجوع هنا: هو الرجوع عن المعصية إلى الطاعة، يقال: تاب العبد إلي ربه إذا عاد إليه، ورجع عن ذنبه، فهو تائب وتوَّاب أي كثير التوبة، هذا إذا استعملت في جانب العبد.

أما إذا استعملت في جانب الله تعالي فمعناها رجوع الله علي عبده بالمغفرة والرحمة، تقول: تاب الله علي فلان إذا رجع عليه بالمغفرة والرحمة والإنعام [(١)]، ومنه قوله تعالي: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة ١١٨]، أي: رجع عليهم بالإنعام والمغفرة ليرجعوا إليه بالطاعة.

والتوبة لها مراتب:

أولها: توبة عن المعصية، وهي توبة العوام.

ثانيها: توبة عن الغفلة، وهي للخواص، وتُسمىَ الأوبة، ومن قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [التوبة ١١٨]، والأوَّابون هم: الراجعون من المعصية إلى الطاعة.

ثالثها: توبة عن ملاحظة غير الله، وهي للعارفين الموحدين، وهذه أسمى درجاتها[(٢)].

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور مادة (توب) ١/ ٢٣٣.

(٢) راجع: أبحاث في التصوف، صـ١٩٧.

وفي الشـريعة: عرَّفها (الملا عليُّ القاري) بأنها هي الندم علي المعصـية من حيث هي معصية، مع عزمه أن لا يعود إليها، إن قدر عليها[(١)].

ومن هذا التعريف نعلم أن التوبة لا تكون إلا عن معصـية؛ فلا تكون عن طاعة، أو عن فعلٍ مباح، كما أن التوبة عن المعصـية لابد أن تكون لكونها معصـية؛ فمن تاب عن شـرب الخمر، أو الزنا؛ لإضرارهما ببدنه، أو بماله، أو لعدم القدرة: فلا يكون تائبًا شرعًا.

وللتوبة شـروط هي: الندم على الماضـي، والإقلاع في الحال، والعزم على عدم العود في الاستقبال، والندم هو أعظم أركانها، فإنه مستلزم لباقي شروطها كما يلي:

١ - **الندم لا ينفك عن علم أوجبه**: فإن العارف قد يعتريه ذهول حال المعصـية، فإذا عاد سطوع إليه المعرفة، تاب وعاد؛ فالتوبة هي رجوع العبد إلي حالة حضور الذهن في المعرفة، وإليها أشـار النبي -ﷺ-بقوله (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْـرِقُ السَّـارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ) [(٢)]، فلو كان على حضور عرفانه لما زني، ولكنه سها فعصى.

٢ - **الندم لا ينفك عن عزم يتبعه**: فالندم يستلزم العزم على عدم معاودة فعل الذنب الذي تاب منه، فإنه يستحيل أن يوجد من المريد للتوبة، المختار للإقلاع عن المعصية، الراغب في ثواب الله الخائف من عقابه أن يندم على ما كان منه إلا وهو عازم علي ترك مواقعة أمثال ذلك في المستقبل، ومحال أن يندم العبد علي فعلٍ ما، ثم يفعل مثله في المستقبل.

٣ - **الندم يلازمه الحزن والغم**: فإن الندم يلازمه شعور العبد بالإخلال بحق الله وتلهفه علي ما فات، وتمنيه عدم ما كان، ويلازمه العزم علي ترك العود إلي المعصية في الاستقبال[(٣)].

---

(١) راجع: شرح الفقه الأكبر صـــ١٥٧ـ١٥٨

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، حديث رقم ٦٧٨٢.

(٣) راجع: الإرشاد، صـــ ٤٠١ ـ ٤٠٢.

وينضـم إلى شـرائط التوبة السـابقة اللازمة عن الندم: رد المظالم إلى أهلها إن كانت التوبة مما يتعلق بحقوق العباد؛ فإن كانت من مظالم الأموال: تتوقف صحة التوبة منها – مع الشروط السابقة – على الخروج عن عُهْدةِ الأموال، وإرضاء الخصم في الحال والاستقبال بأن يتحلل منهم، أو يردها إليهم، أو إلى من يقوم مقامهم.

وأما إن كانت المظالم في الأعراض: فيجب في التوبة منها: أن يخبر أصـحابها بما قال، ويتحلل منهم، فإن تعذر ذلك: فليستغفر الله، والمرجو من فضله أن يُرضيَ خصماءه من خزائن إحسانه؛ فإنه جوَّاد كريم[1].

والتوبة – كمقام من مقامات الصوفية – واجبة مطلقًا، وليست مشروطة بسبق المخالفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم ٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور٣١].

ومن فضل الله – تعالى – على عباده: أن التوبة إذا تمت التوبة على شروطها فهي مقبولة تفضلًا من الله – تعالى – لا وجوبًا عقليًا كما زعمت المعتزلة.

وكذلك: قبولها شرعًا مرجو، غير مقطوع به، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ [التوبة١٥]؛ فقد علق التوبة على المشيئة، وأيضًا: تأخير الله ورسوله قبول توبة الثلاثة اللذين خُلِّفُوا مع إخلاصهم وصدقهم يدل على أن قبول التوبة مما يتفضل الله به على التائبين.

وكذا من تاب عن ذنبه ثم نقض توبته وعاد إلي الذنب الذي تاب منه، فإن طروء المعاودة لا تقدح في صحة التوبة السابقة، وعليه المبادرة إلي تجديد التوبة من المعاودة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢]، والتواب صيغة مبالغة، تُطلق علي من أكثر

(١) راجع: شرح الفقه الأكبر، صـ١٥٨ ـ ١٥٩.

التوبة، وقال - ﷺ - (ما أصر امرؤ ولو عاد في اليوم سبعين مرة)[١].

والتوبة - عند الإمام عند الحليم محمود - ليست مجرد خطوة أولى في الطريق، بل هي ملزوم يتبعه لازمه، ولازم التوبة: إتباع أحسن ما أنزل الله - تعالى - ، وقد أرشدنا - سبحانه - إلى الملزوم ولازمه في قوله -عز وجل-: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الزمر ٥٣ - ٥٥].

يقول الإمام عبد الحليم محمود: "والآن قد وضح الطريق، فهو: أولًا: التوبة، وثانيًا: إتباع ما أنزل الله.

وقد كان أسلافنا يبدأون أعمالهم الهامة بالتوبة النصوح؛ فقد كانوا يبدأون شهر رمضان بالتوبة، ويبدأون الحج بالتوبة.

والرحلة المباركة - رحلة الإسراء والمعراج - بدأت بشق الصدر، وشق الصدر بالنسبة لنا إنما هو التوبة النصوح؛ لأن التوبة تَطَهُّرٌ وطُهْرٌ، وإذا تاب الإنسان فإن ذلك يكون بمثابة إتيان ملكين يشقان عن صدر الإنسان، ويغسلانه، ...إن التوبة تطهر الإنسان من المعصية، إنها تجُبُّ ما قبلها، أي: تزيله، وتمحوه"[٢].

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، حديث رقم ٣٥٥٩، وأبو داود في سننه، حديث رقم ٥٩٤٨.

(٢) أبحاث في التصوف صـ١٩٩.

٢ - الورع:

وهو أن يترك الإنسان كل ما فيه شبهة، وهذا المقام يأتي بعد التوبة مباشرةً – عند الإمام عبد الحليم محمود –؛ وذلك لأن التوبة إذا صدقت استلزمت – لا محالة – الورع[(١)] .

فالورع – إذًا – مقام متوسط بين التوبة والزهد؛ فبعد أن سلم المرء نفسه لله بالتوبة الصادقة والأسى على ماضٍ ضاع منه في معصية الله يعزم عزما أكيدًا على تجنب ما حرم الله والتمسك بما أحل وأباح، وبعدئذ يرتقى درجة إيمانية أخرى وهى أن يعتاد قياس الحلال والحرام بمقاييس فيها تشديد وقوة هذه المقاييس هي مقاييس الورع فليس كل الحلال في نظر الورع سواء، فهناك حلال لا يعصى الله فيه وحلال لا ينسى الله فيه ، وهناك حلال بين ، وحلال فيه اشتباه وينبغي على العبد أن يتورع عن كل ما فيه دخن[(٢)] .

والورع هو الأساس والأصل وعليه يدور الأمر كله وهو أعز الصفات وأجلها وأولاها بالرعايات وهو أجدرها؛ لأنه وصف ذاتي لا يمكن استعارته أو الوصول إلى تحصيله من جهة الغير[(٣)] .

وقد وجَّه الإسلام إلى هذا المقام، ومن ذلك قول النبي – ﷺ – : (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم: كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم: أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله، من يرتع حول

(١) راجع أبحاث في التصوف صـ٢٠١.

(٢) راجع الرسالة القشيرية، صـ٣١٩.

(٣) راجع فضائح الباطنية لأبى حامد الغزالي ص ١٨٧ بتصرف تحقيق وتقديم د . عبد الرحمن بدوى، نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ.

الحمى يوشك أن يواقعه)[١].

والورع عند الإمام عبد الحليم محمود ليس خاصًا بالعمل فحسب، بل يكون في القول، والاعتقاد، والعمل:

فورع القول: يتحقق بالتنزه عن اللغو بكل ضربه، وترك كل حديث ليس من شأنه إلا تضييع الوقت بلا فائدة أو ثمرة.

والورع في الحديث ليس سهلًا؛ لأن الكلام شهوة، وقد زُيِّن للناس حُب الشهوات، فالأمر يحتاج إلى مكابدة ومجاهدة؛ ولذا كان الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة.

وورع الاعتقاد: محله القلب، وهو أن لا ينشغل القلب عن الخطرات، ويتسامى الورع في القلب حتى يصل إلى أن يتورع السالك عن كل ما سوى الله.

أما ورع العمل: فإنه يتضمن التحري فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والملبس، حتى يكون كل ذلك من حلال طيب[٢].

٣ - الزهد:

والزهد هو المقام التالي لمقام الورع؛ لأن الورع يقتضيه، يقول السراج الطوسي: (والزهد مقام شريف، وهو أساس الأحوال الرضية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله -عز وجل- والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله -تعالى-، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيءٌ مما بعده؛ لأن حب الدنيا رأس

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بسنده من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما-، كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، حديث رقم ١٩٤٦.

(٢) راجع أبحاث في التصوف صـ٢٠٣.

كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة)[(١)].

والزهد لا يعني - بالضرورة - الفقر والحاجة وخلو اليد، ولا يتعارض الزهد مع الغنى والثراء، بل أصل الزهد: خلو القلب مما خلت منه اليد؛ ولذا قيل: (الزاهد حقًا لا يذم الدنيا، ولا يمدحها، ولا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت.

وقد بحث الإمام عبد الحليم محمود هذه الجزئية، وانتهى إلى درء التعارض بين الزهد والغنى، وأورد في هذا المعنى نصًا عن (أبي سعيد الخراز) يراه الإمام فيصلًا في هذه الجزئية، وهو قوله: «اعلم أن الأنبياء- عليهم السلام- والعلماء والصالحين -رضي الله عنهم- من بعدهم أمناء الله تعالى، في أرضه على سره وعلى أمره ونهيه وعلمه وموضع وديعته، والنصحاءُ له في خلقه وبريته، وهم الذين عقلوا عن الله تعالى، أمره ونهيه، وفهموا لماذا خلقهم، وما أراد منهم، وإلى ما ندبهم؟ فوافقوه في محبته، ونزلوا في الأمور عند مشيئته، ثم وقفوا عند ذلك مواقف العبيد الألباء، القابلين على الله، والحافظين لوصيته، وأصغوا إليه بآذان فهومهم الواعية، وقلوبهم الطاهرة، ولم يتخلفوا عن ندبته، فسمعوا الله -عز وجل- يقول: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾.

فأيقن القوم: أنهم وأنفسهم لله تعالى، وكذلك ما خولَّهم وملَّكهم، فإنما هو له، غير أنهم في دار اختبار وبلوى، وخلقوا للاختبار والبلوى في هذه الدار.

وهكذا يروى عن ابن الخطاب رضي الله عنه، حين سمع: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ

(١) اللمع للسراج الطوسي، صـ٧١ ـ ٧٢.

الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ قال: يا ليتها تمت؟! يعني عمر، قبل قراءة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾، ومعنى قول عمر رضي الله عنه: «(يا ليتها تمت) يعني: لم يخلق، حين سمع الله تعالى، يقول: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾.

وذلك من معرفة عمر -رضي الله عنه- بواجب حق الله، وقدر أمره ونهيه، وعجز العباد عن القيام به، وقيام الحجة لله - تعالى - عليهم عند تقصيرهم، وما تواعدهم به إذا ضيعوا.

ويروى عن الحسن -رضي الله عنه- أنه قال: (إن الله تعالى، إنما أهبط آدم -عليه السلام- إلى الدنيا عقوبة، وجعلها سجنًا له حين أخرجه من جواره، وصيره إلى دار التعب والاختبار).

فمن ملك من أهل العمل عن الله - تعالى - وأهل الصدق، شيئًا من الدنيا فهو معتقد أن الشيء لله - جل وعز - لا له، إلا هو من طريق حق ما خوَّله الله تعالى ، وهو مبلى به حتى يقوم بالحق فيه؛ لأن النعمة بلاء، حتى يقوم العبد بالشكر فيها، ويستعين بها على طاعة الله تعالى .

وكذلك البلوى والضراء، هو: اختبار وبلاء، حتى يصير عليه، ويقوم بحق الله تعالى فيه، وكذلك قال بعض الحكماء: العلم كله بلاء حتى يُعمل به، قال الله (عز وجل) : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.

فالأنبياء صلوات الله عليهم، والصالحون من بعدهم، الذين أشعرهم الله بأن أبلاهم في الدنيا بالسعة وخوَّلهم، كانوا إلى الله -عز وجل- ساكنين، لا إلى الشيء، وكانوا خُزَّانًا لله - جل وعز ذكره - في الشيء الذي ملَّكهم، ينفذونه في حقوق الله - تعالى -، غير مقصرين، ولا مفرطين، ولا متوانين، ولا متأوِّلين على الله التأويل، وكانوا غير متلذذين بما ملكوا، ولا مشغولي القلوب بما ملكوا، ولا مستأثرين به دون عباد الله تعالى.

ومن ذلك ما روي عن سليمان بن داود -عليهما السلام- في ملكه، وما أباحه الله - تعالى - من الكرامة، حين يقول تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، قال أهل التفسير: لا حساب عليك في الآخرة، وإنما كان عطاء هيِّنًا؛ إكرامًا من الله -عز وجل- له، فذكر العلماء، أن سليمان -عليه السلام- كان يطعم الأضياف الحوارى - وهو لباب البر وخالص الدقيق - النقي، ويطعم عياله الخشكار - وهو الدقيق الخشن - ، ويأكل هو الشعير.

وكذلك روى العلماء، أن إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه -، كان لا يأكل إلا مع الضيف، فربما لا يأتيه ثلاثة أيام الضيف فيطويها، وربما كان يمشي الفرسخ أو أقل أو أكثر؛ تلقيًا للضيف.

قال: وكان أيوب النبي -عليه السلام -، لا يسمع أحدًا يحلف بالله تعالى، إلا رجع إلى منزله فكفر عنه.

وروى العلماء، أن يوسف -عليه السلام - كان على خزائن الأرض، فكان لا يشبع، فقيل له في ذلك؛ فقال: (أخاف أن أشبع فأنسى الجياع).

ولقد روي أن سليمان -عليه السلام -، بينما هو ذات يوم والريح تحمله، والطير تظله، والجن والإنس معه، وعليه قميص جديد فلصق ببدنه؛ فوجد اللذة، فسكنت الريح ووضعته على الأرض، فقال لها: مالك؟ فقالت: إنما أمرنا أن نعطيك ما أطعت الله، ففكر في نفسه من أين أتى فذكر؛ فراجع، فحملته الريح، ولقد روي أن الريح كانت تضعه في اليوم مرات، من هذا وأشباهه.

فالقوم كانوا خارجين من مُلْكِهِم في مَلِكِهِم، ناعمين بذكر الله وعبادته، غير ساكنين إلى ما ملكوا، لا يستوحشون من فقده إن فقدوه، ولا يفرحون بالشيء، ولا يحتاجون إلى العلاج والمجاهدة في إخراجه.

قال الله – تعالى – للنبي – ﷺ – : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾، وهذا النبي – ﷺ – ، بينما جبريل – عليه السلام – عنده؛ إذ تغير جبريل، فإذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل قط، فقال جبريل – عليه السلام – : خشيت أنه نزل فيَّ بأمر، فجاء إلى النبي – ﷺ – بالسلام من عند الله – عز وجل – ، وقال له: هذه مفاتيح خزائن الأرض، تسير معك ذهبًا وفضة، مع البقاء فيها إلى يوم القيامة، ولا تنقصك مما لك عند الله شيئًا، فلم يختر النبي – ﷺ – ذلك، وقال: (أجوع مرة وأشبع مرة)، وعدَّ ذلك من الله – عز وجل – بلوى واختبارًا، ولم يره من الله – تعالى – اختيارًا، ولو كان من الله – تعالى – اختيارًا لقبله، ولكنه علم أنه محبة الله – تعالى – في الترك للدنيا، والإعراض عن زينتها وبهجتها، وبذلك أدبه الله – تعالى – ، حين قال – تعالى – : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، ويروى عنه – ﷺ – ، أنه لبس حلة لها علم فطرحها وقال: (كادت تلهينى أعلامها – أو قال ألهتنى أعلامها – خذوني وأتوني بأنبجانية).

وكذلك روي، أنه صنع له خاتم ذهب ليختم به الكتب، إلى من أمره الله – تعالى – بإنذاره، فلبسه ثم طرحه من يده، وقال لأصحابه: (إليه نظرة وإليكم نظرة).

وكذلك روي أنه – ﷺ – غيَّر شراك نعله، فجعل مكانه جديدًا فقال: (ردوا الشراك الأول).

وكذلك كل قلب طاهر صاف، قد أشرف على الآخرة، وعرف قيام الله تعالى عليه يفزع من خفايا السكون إلى الدنيا، والتحلي بشيء منها.

ومثل هذا في الأخبار كثير، والعاقل الفطن تكفيه الإشارة إليه بالشيء، وهذا أصحاب محمد – ﷺ – حين حثهم على الصدقة، جاء أبو بكر بماله كله؛ لأنه كان أقوى القوم، فقال

له النبي -صلى الله عليه وسلم- : ما خلفت لعيالك؟ قال: الله ورسوله، ولي عند الله مزيد.

أفلا ترى أبا بكر- رضي الله عنه-، إنما كان سكونه إلى الله - تعالى - لا إلى شيء، ولم يكن لشيء عنده قدر، وكان ما عند الله عنده أسر؟! فحين رأى موضع الحق لم يخلف منه شيئًا، وقال: خلفت الله ورسوله.

ثم جاء عمر -رضي الله عنه- بنصف ماله، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ما خلفت لعيالك؟ قال: نصف مالي، ولله عندي مزيد؟ فقد أعطى نصف ماله، ويقول: ولله عندي.

ثم عثمان رضي الله عنه يجهز جيش العسرة كله بجميع ما يحتاج إليه، ويحفر بئر رومة، أفلا ترى أن القوم إنما كانوا معدين الشيء لله تعالى؟!

ومما يدل على صدق قولنا، أن القوم كانوا خارجين مما ملكوا، وهو في أيديهم يعدونه لله -عز وجل- ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: (إنَّا معشر الأنبياء لا نورث، وما خلفناه صدقة).

أفلا ترى أنهم في حياتهم، لم يضنوا بالشيء عن الله عز وجل؟! وكذلك لم يورثوه، وخلفوه لله عز وجل، كما كان في أيديهم لله - تعالى - لم يحدثوا فيه، ولم يخولوه من بعدهم أحدًا، وإن هذا البلاغ لمن عقل عن الله تعالى وأنصف من نفسه.

وهؤلاء أئمة الهدى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أبو بكر -رضي الله عنه- من حين ملك الأمر، وجاءته الدنيا راغمة من حلها، لم يرفع بها رأسًا، ولم يتصنع وكان عليه كساء يخلله، وكان يُدعى: ذا الخلالين.

وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، حين جاءته الدنيا راغمة من حلها، وكان طعامه الخبز والزيت، وفي ثوبه بضع عشرة رقعة بعضها من أدم، وقد فتحت عليه كنوز كسرى وقيصر.

وهذا عثمان - رضي الله عنه -، كأنه واحد من عبيده في اللباس والزى! ولقد روي عنه: أنه رؤي خارجًا من بستان له، وعلى عنقه حزمة من حطب، فقيل له ذلك؛ فقال: أردت أن أنظر نفسي: هل تأبى؟ أفلا ترى أنه كان غير غافل عن نفسه، وتعاهدها ورياضتها؟

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الخلافة، قد اشترى إزارًا بأربعة دراهم، واشترى قميصًا بخمسة دراهم، فكان في كمه طول، فتقدم إلى خراز، فأخذ الشفرة، فقطع الكم مع أطراف أصابعه، وهو يفرق الدنيا يمنة ويسرة!

وهذا الزبير - رضي الله عنه - يخلف حين مات، من الدين مائتي ألف أو أكثر، كل ذلك من الجود والسخاء والبذل!

وهذا طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه -، يعطي حلي أهله لمن سأله!

فهذا يدل على أن القوم كانوا، كما قال الله - عز وجل - حين أمرهم، فقال: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

ولا يستحي عبد من عبيد الله من أهل زماننا هذا، عندما ملك من الشبهات التي علم الله - تعالى - ، كيف هي؟ ومن أين هي؟ وكيف قدرها في قلبه؟ وإيثاره لها، وسكونه إليها دون الله - عز وجل - ، وما لا يحصى من عيبه في تقلبه في ذلك واشتغاله بذلك، حتى إن أحدهم ليزعم، أنه يملك كما ملك من مضى، ويحتج بهم في اتباع هواه مع إقامته على خلاف سنة القوم.

بل الاعتراف لله - تعالى - بالتقصير من العبد الغافل أقرب إلى النجاة، وسؤاله الله - عز وجل - أن يبلغ ما بلغ بالقوم»(١).

(١) كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز، صـ٣٥ ـ ٤٥، وراجع أبحاث في التصوف، صـ٢٠٧ ـ ٢١٤.

٤ - التوكل:

التوكل على الله - تعالى - من مقامات الطريق الصوفي، والتوكل من لوازم كمال العبودية؛ فإن العبودية تقتضي أن يسلم العبد قياده إلى معبوده، مع إيمانه وثقته بأنه كافيه وحسبه، وبهذا: فحقيقة التوكل ليست أجنبية عن العبودية، بل التوكل من لوازمها، وهذا ما تكشف عنه أقوال أئمة الصوفية في التوكل، ومن ذلك:

أ - قول أبي سعيد الخرَّاز[(١)]: "التوكل هو التصديق لله عز وجل، والاعتماد عليه، والسكون إليه، والطمأنينة إليه في كل ما ضمن، وإخراج الهم من القلب بأمور الدنيا والرزق، وكل أمرٍ تكفل الله به، فالله مالكه، والقائم به، لا يوصله إليه غيره، ولا يمنعه غيره مع خروج الرغبة والخوف مما سوى الله"[(٢)].

ب - وسُئل ذو النون المصري: ما التوكل؟ فقال: خلع الأرباب، وقطع الأسباب.

فقال السائل: زدني؟ فقال: إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية.

ج - وقيل: التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والأحكام.

د - وقيل: التوكل هو الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه.

ه - ويقول الإمام القشيري: "سمعت أبا عليٍّ الدقاق يقول: للتوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي

---

(١) أبو سعيد الخرَّاز: هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرَّاز، وهو من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، وأبا عبيد البسري، وبشر بن الحارث، والسري السقطي، وهو من أئمة الصوفية ومن أجل مشايخهم، وقيل: هو أول من تكلم في الفناء، والبقاء، توفيَ سنة ٢٧٩ هـ. راجع الطبقات الصوفية صـ٧٣.

(٢) الطريق إلى الله صـ٦٤، تأليف: أبي سعيد الخرَّاز، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

بعلمه، وصاحب التفويض يرضي بحكمه.

وسمعته يقول: التوكل بداية، والتسليم وساطة، والتفويض نهاية"[١].

و – وقال السري السقطي[٢]: التوكل هو الانخلاع من الحول والقوة.

ز – وقال سهل التستري: التوكل الاسترسال بين يدي الله تعالى[٣].

ح – وقيل: التوكل هو ثقة القلب بالله، حتى لا يعتمد على شيءٍ سواه، والتعلق بالله، والتعويل عليه في كل شيء، علمًا بأنه عالم بكل شيء[٤].

وأقوال الصوفية في التوكل تؤكد مكانة التوكل في الطريق الصوفي، كما ينفي عنهم تهمة التواكل والسلبية؛ والصوفية لا ينكرون الأخذ بالأسباب، ولكنهم لا يعتقدون أن السبب فاعل بذاته، وإنما السبب وسيط ظاهري بين المقدورات وبين قدرة الله، فالجوارح تتوجه عندهم إلى الأسباب، والقلب يتوجه إلى رب الأسباب.

يقول الإمام الغزالي: "قد يظن الجهال أن شرط التوكل ترك الكسب، وتركُ التداوي، والاستسلامُ للمهلكات، وذلك خطأ؛ لأن ذلك حرام في الشرع؛ فإن الشرع قد أثنى على

(١) راجع الرسالة القشيرية صـ ٤٠٦-٤٠٧

(٢) السري السقطي: هو أبو الحسن سري بن المفلس السقطي، أستاذ الجنيد، ويُقال: إنه خاله، صحب معروفًا الكرخي، والسقطي هو إمام البغداديين، وشيخهم في وقته، أسند الحديث عن الصحابي حازم بن حرملة الغفاري ـ رضي الله عنه ـ توفي عام ٢٥٢ هـ. راجع الطبقات الصوفية للسلمي صـ١٩.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي صـ٧١ ـ ٧٢.

(٤) راجع معراج التشوف إلى حقائق التصوف صـ٣١.

التوكل، وندب إليه، فكيف يُنال ذلك بمحظوره"(١).

وقال (القاضي عياض، المتوفى عام٥٤٤ هـ): "ذهب المحققون من الصوفية إلى نحو مذهب الجمهور، ولكن لا يصح عندهم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب، بل فعل الأسباب سنة الله، والثقة بأنها لا تجلب نفعًا، ولا تدفع ضرًا، والكل من الله"(٢).

٥ - الرضا:

الرضا من أحوال القوم، وللرضا صلة وثيقة بالعبودية الخالصة التي يقصدها الصوفية؛ فإن السالك إذا تحرر من رق الأغيار، ودخل في عبودية الله - تعالى - عبودية نابعة من خالص المحبة، متجردة عن الأغراض، إذا تحقق العبد بذلك، رضيَ بما يكون من مولاه، وسكن قلبه عند مجاري الأقدار، واستوت عنده النعماء والضراء.

وقد اختلفت عبارات الصوفية في التعبير عن الرضا تبعًا لاختلاف أحوالهم، يقول القشيري: "وتكلم الناس في الرضا، فكلٌ عبَّر عن حاله، وشِرْبِهِ، ونصيبه، فهم في العبارة عنه مختلفون، كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون"(٣).

ومن أقوال مشايخ الصوفية في الرضا:

قال أبو سعيد الخرَّاز: الرضا هو سرور القلب بمُرِّ القضاء(٤).

وقال أبو علي الدقاق: ليس الرضا ألا تحس بالبلاء، بل الرضا ألا تعترض على القضاء.

(١) الأربعين في أصول الدين، في العقائد، وأسرار العبادات والأخلاق صـ٢٤٢، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣م.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٢/ ٤، تأليف: محمد بن علان الصديقي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

(٣) الرسالة القشيرية صـ٤٤٦

(٤) الطريق إلى الله صـ٨٤.

وقال الجنيد: الرضا هو سكون القلب تحت جريان الحكم[١].

وقيل: الرضا هو إخراج الكراهية من القلب، حتى لا يكون فيه إلا فرحٌ وسرورٌ.

وقيل: الرضا هو سكون القلب إلى أحكامه، وموافقة القلب بما رضيَ واختار[٢].

وعبَّر ابن عجيبة عن الرضا بعبارات متعددة فقال: "الرضا هو تلقي المهالك بوجه ضاحك، أو هو سرور يجده القلب عند حلول القضاء، أو هو ترك الاختيار مع الله فيما دبَّر وأمضى، أو هو شرح الصدر، ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار"[٣].

وهذه العبارات السابقة في الرضا تلتقي على حرف واحد، وهو سكون القلب وطمأنينته مع تقلب الأحوال، وفي ذلك يقول (الهجويري، المتوفى عام ٤٦٥هـ) في كشف المحجوب: "وفي الجملة: فإن رضاء العبد هو استواء قلبه على طرفي القضاء: إما منع، وإما عطاء، واستقامة سره على مشاهدة الأحوال: إما جلال، وإما جمال، بحيث إنه إذا وُقف بالمنع، أو سُبق بالعطاء: يتساوى رضاؤه، وإذا احترق بنار هيبة الحق وجلاله، أو أضاء بنور لطفه وجماله: يستوي لدى قلبه الاحتراق والإضاءة؛ لأن ذلك عنده شاهد الحق، وكل ما يكون من الحق: فهو خيرٌ كله له إذا رضيَ بقضائه"[٤].

ومن لوازم الرضا: عدم البطر أو الاغترار بالنعمة؛ فإن من فرائض العبودية ألا تقوم في النفوس دواعي البطر بملاحظة المنة، وأن تظل على الدوام تحت مجاري القضاء، راضية كيما تبلغ

(١) التعرف صـ٧٣.

(٢) الرسالة القشيرية صـ٤٤٧ ـ ٤٤٩.

(٣) معراج التشوف إلى حقائق التصوف صـ٣١.

(٤) كشف المحجوب ٢/ ٤٠٥، تأليف: أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، تحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠٧م.

المرفأ الأمين حين تبلغ منازل الأحرار[1].

وهنا ملحظ مهم: فمن خلال الرضا يعالج الصوفية تمزق الإنسان الروحي بين اللذة والألم؛ فالإنسان يفرح حين تقبل عليه الدنيا، وقد يحدث أن تزول عنه، فيتألم لذلك أشد الألم، وتصبح حياته بين تعاقب الفرح والألم عذابًا نفسيًا لا يطاق، وهذا هو المعنى المشار إليه عند الصوفية في قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد ٢٣].

٦ - المحبة:

محبة الله من لوازم معرفته - تعالى -؛ فإن من عرف الله أحبه، ومحبة الله هي أصل جميع المقامات والأحوال؛ ولذا اختص بكمالها سيد النبيين، وإمام المرسلين؛ فقد جعل الله طاعة نبينا الكريم طريقًا لمحبة الله، قال تعالي: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران ٣١][2].

ومحبة الله باعتبارها طاعةً لله من أحوال القوم، ومن لوازم التحقق بالعبودية؛ لأن المحبة في بعض معانيها تعني موافقة المحبوب، وهي حالة للقلب، تلْطُفُ عن العبارة، وهي تحمل العبد على تعظيم الله، وإيثار رضاه، ودوام ذكره، وموالاته بالطاعة.

يقول أبو سعيد الخرَّاز: "بل إن المحب يتفرغ من الغفلة، ويستغفر منها، وكذلك جوارحه وقفٌ لخدمة من أحبه، فهو غير ساهٍ ولا لاهٍ، وإنما همه أن يُرْضِيَ من أحبه؛ فقد بذل المجهود في موافقته بإداء فرائضه، واجتناب مناهيه، فهو متزين له بكل طاقته، حذرًا من

(١) ختم الأولياء صـ٣٧١، والحرية عند ابن عربي صـ٥١.

(٢) راجع إحياء علوم الدين ٤/ ٤٥٥، ومشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب صـ١٩، تأليف: عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، المعروف بـ(ابن الدباغ)، تحقيق: هلموت ريتر، طبعة دار صادر، بيروت، بدون.

أن يأتيَ عليه أمرٌ يسقطه من عين من أحبه"[١].

ويقول الهجويري: "أما محبة العبد لله: فهي صفة تظهر في قلب المؤمن المطيع، بمعنى: التعظيم والإكبار؛ ليطلب رضا المحبوب، ويصير بلا صبر في طلب رؤيته، وقلقًا في الرغبة في قربه، ولا يسكن إلى أحد دونه، ويعتاد ذكره، ويتبرأ مما سوى ذكره، وتحرم عليه السكينة، وينفر منه السكون، وينقطع عن جميع المألوفات والمستأنسات، ويُعْرِضُ عن الأهواء، ويقبل على سلطان المحبة، ويطيع حكمه، ويعرف الحق - تعالى وتقدس - بنعوت الكمال"[٢].

وجدير بالذكر أن أشير هنا إلى أن كل ما سبق وما سيأتي من أقوال الصوفية في المحبة ليس حدًا لها؛ لأن الحد يكون بجنس وفصل، والمحبة لا جنس لها ولا فصل، وإنما أقوال مشايخ الصوفية في المحبة، لا يعدو كونه وصفًا لآثارها عند القائل.

يقول ابن الدباغ في ذلك: "اعلم إنه قد اختلف الأولون والآخرون في حد هذا المقام، وتباينوا في العبارة عن حقيقته؛ إذ كل منهم إنما يعبر على حسب ذوقه، وينطق بمقدار حاله، وكلٌ قاصرٌ لعجزه عن الإحاطة بحقيقته، ومن وصل إلى شيء منه من أهل التحقيق لم يخاطب الجمهور به إلا رمزًا وتلويحًا؛ فإنه أعظم من أن تُشْرَّحْ حقيقته بالنطق، وحَسْبُ المُعَبِّر عنه الإيماء، فأما شرح حقيقته باللفظ: فمتعذر جدًا"[٣].

---

(١) الطريق إلى الله صـ٨٠.

(٢) كشف المحجوب ٢/ ٥٥١.

(٣) مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب صـ٢٠.

ومن عبارات الصوفية في المحبة:

قال الجنيد: المحبة ميل القلوب إلى الله، وإلى ما لله من غير تكلف.

وقال غيره: المحبة هي الموافقة بالطاعة لله فيما نهى، وما أمر، والرضا بما حكم وقدر.

وقيل: المحبة هي لذة في المخلوق، واستهلاك في الخالق، ومعنى الاستهلاك: أن لا يبقى لك حظ، ولا يكون لمحبتك علة، ولا تكون قائمًا بعلة[(١)].

وقيل: المحبة هي: إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وقال سهل بن عبد الله: هي معانقة الطاعة، ومباينة المخالفة.

وقيل: هي موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقال البسطامي: المحبة هي استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك.

وقال الشبلي: سميت المحبة محبة؛ لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وقيل: هي قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك.

وقيل: هي سرور القلب بمطالعة جمال المحبوب.

وقيل: المحبة هي أن تهب كليتك لمحبوبك، فلا يبقى لك منك شيء.

وقيل: المحبة هي معنى من المحبوب، قاهر للقلب تعجز العقول عن إدراكه، وتمتنع الألسنة عن العبارة عنه[(٢)].

وما سبق من تعريفات للمحبة قليل من كثير، وعبارات القوم في المحبة مع كثرتها لا تفصح عن حقيقتها؛ فإن المحبة مرام عزيز المنال، لا يمكن أن تؤخذ من الألفاظ؛ فإن الألفاظ المتعارفة لا يوجد فيها لفظ يوفي بحقيقة المقصود، كما أن المحبة أمر وجداني

(١) راجع التعرف صـ٧٩.

(٢) راجع الرسالة القشيرية صـ٦٤٦ ـ ٤٤٧، ومشارق أنوار القلوب صـ ٢١.

ذوقي، لا يعبر عنها إلا من ذاقها، ومن ذاقها استولت عليه حالة لا تستقيم له معها العبارة، فيعبر بالرمز والإشارة[١].

لكن يمكن – من خلال ما سبق – أن نلحظ تحولًا مهمًا، يتمثل في تحول مفهوم لفظ (الله) عند الصوفية من معبود، يعبدونه رغبةً في ثوابه، ورهبةً من عقابه، إلى مقصود محبوب، يسعدون بحبه، ويأنسون بقربه، ويتطلعون إلى رضاه، وقد كان هذا الحب هو منطلقهم في العبودية، وهذا الحب – كذلك – من أهم مصادر الإلزام الخلقي عند الصوفية؛ لأنه أوجب عليهم أن يحبوا ما أحبه الله، وأن يبغضوا ما أبغضه، وأن ينصرفوا عن كل ما يشغلهم عنه[٢].

وهكذا: فالمحبة – على اختلاف عبارات مشايخ الطريق – محبة متعالية عن الأغراض، ومُنَزِّهَة لله – تعالى – عن مشابهة المخلوقين، وفي ذلك يقول الهجويري: "ولا يجوز أن تكون محبة العبد للحق من جنس محبة الخلق بعضهم لبعض؛ لأن تلك ميل إلى الإحاطة بالمحبوب وإدراكه، وهذا حكم صفة الأجسام، ومحبو الحق – تعالى – مستهلكون في قربه، لا طالبون لكيفيته"[٣].

ويلزم عن المحبة معنىً آخر، له أثره على استقامة السلوك، وهو: إفراد القلب لله تعالى؛ فإنه مطلوب بكل حال، فلزم نفي الرياء بالإخلاص، ونفي العُجْبِ بشهود المنة، ونفي الطمع بوجود التوكل، ومدار الكل على سقوط الخلق من نظر العبد.

وإذا قضى العبد على حظوظ نفسه، وبقيَ بما لله: تولى الله أمره، وكان كافيه وحَسْبَه،

---

(١) راجع مشارق أنوار القلوب صـ ٢١.

(٢) راجع فلسفة الأخلاق الصوفية عند ابن عربي صـ ١٥٩، تأليف: د/ توفيق الطويل (بحث ضمن الكتاب التذكاري عن ابن عربي)، طبعة دار الكاتب العربي، القاهرة، عام ١٩٦٩م.

(٣) كشف المحجوب ٢/ ٥٥١.

وهذا معنى قول بعضـــهم: إذا قام العبد بما لله عليه: فحقيق على الله أن يقوم بما كان العبد قائمًا به لنفسه(١).

وقد فسـر بعضـــهم (القاســية قلوبهم) في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِـيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر ٢٢] بأنهم المدعون، الذين يدعون الحول والقوة، والمشــيئة والإرادة، ويدعون الاستغناء عن الله، فلا تنشرح قلوبهم لقبول الوحي(٢).

وإفراغ القلب مما سوى الله يقتضي صفاء السريرة في عبوديته، وعدم التعلق بما سواه، وهذه حالة متعالية من الإخلاص في العبادة، والتجرد لله وحده، وهذه الحالة منطلقها المحبة الخالصــة، وقد أشــار إليها بعض القوم بقوله: (ما عبدتك شــوقًا إلى جنتك، ولا خوفًا من نارك).

---

(١) راجع طبقات الشعراني ١/ ٦٧.

(٢) راجع حلية الأولياء ١٠/ ٢٠٦.

المبحث الثالث

أهم ثمرات الطريق الصوفي

الطريق الصوفي مقام لا يجف معينه ولا ينضب، وشجرة طيبة تؤتي أُكُلَها كل حينٍ بإذن ربها.

ومن أهم ثمراته: تحقيق العبودية الكاملة لله – تعالى – ، والوصول إلى تمام الإحسان.

العبودية عند الصوفية باعتبارها تحررًا من رق الأغيار مشروع إنساني، ولَّد العديد من البرامج العملية في دواوين الصوفية؛ فالصفحات أو الكتب المخصصة لمقامات الطريق الصوفي، أو منازله تبين أن مقامات الصوفية: هي – في الواقع – خطوات عملية كسبية للتحقق بالعبودية الحقة، التي هي كمال الحرية الإنسانية(١).

يقوم مفهوم العبودية عند الصوفية على التفرقة بين نوعين من العبودية:

أولهما: عبودية مهلكة، تمسخ وجدان الإنسان، وتجعله تابعًا لشهوات نفسه الأمَّارة بالسوء، لاهثًا وراء ملذاته العاجلة، وهي عبودية الأغيار.

ثانيهما: عبودية مُنَمِيَّةٌ، يحقق من خلالها الإنسان أقصى إمكاناته الروحية، وتعلو بها ذاته، وتشرف نفسه، وهي العبودية لله، وهذا النوع من أظهر ثمرات التصوف (٢).

والعبودية مقام ذلة وافتقار، وهي من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه؛ ولذا كانت العبودية نصًا في الإنس والجن؛ لأنهما خرجا عن حقيقتهما أحيانًا؛ فَادَّعَوْا ما ليس لهم، قال الله – تعالى – : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

وفي هذه الآية يقول الشيخ ابن عربي: "وما قال الله ذلك في غير هذين الجنسين؛ لأنه ما

(١) راجع الحرية مقام إنساني صـ١٢٤.

(٢) راجع الحرية مقام إنساني صـ١١٩.

ادَّعَى أحدٌ الألوهية، ولا اعتقدها في غير الله إلا هذان الجنسان؛ ولذا خصهما الله – تعالى – بالذكر دون سائر المخلوقات.

ومعنى ليعبدون: أي ليعرفوني بذلتهم لي، ولا يَذلُّ لله من لا يعرفه؛ فالذلة لله – تعالى – مسبوقة بمعرفته، وأنه ذو العزة"[1].

ومع كون العبودية ذلةً وافتقارًا إلا أنها في الوقت نفسه شرفٌ لا يتحقق به إلا الكاملون، ولم تتحقق العبودية الكاملة إلا في نبينا، يقول أبو على الدقاق: "ليس شيءٌ أشرف من العبودية، ولا اسم أتم من اسمها؛ ولذلك ذكرت في أتم أوقات المصطفى –ﷺ– وهو ليلة المعراج، فلو كان شيءٌ أجلَّ منها لسماه به خالقه"[2].

ولقد وُصف النبي –ﷺ– بالعبودية في معرض التكريم والتفضيل في غير موضع من القرآن الكريم، ومن بالغ التكريم: أن جاء هذا الوصف مضافًا إلى الله – تعالى – فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء ١].

فقد اختار الله لنبيه –ﷺ– الشرف بأعلى ما يكون من صفات الخلق، وليس ذلك إلا العبودية؛ فإن الله إذا أكرم عبدًا حققه بعبوديته، فما سماه إلا بأشرف أسمائه عنده؛ لأنه ما تَحَسَّن عبد بِحُسْنٍ أحسن، ولا تزين بزينة أزين من عبوديته.

كذلك: في لفظة (بعبده) إشارة إلى كونه عبدًا، ليس فيه شيءٌ من الربوبية التي ادعتها بعض الأمم في أنبيائها، وفيها – أيضًا – وصف للنبي –ﷺ– بأشرف الحالات، وهي

(١) الفتوحات ٢/ ٢١٤.

(٢) الكواكب الدرية ٢/ ١٨٠-١٨١.

العبودية المحضة، فجعله عبدًا محضًا، وجرَّده من كل شيء حتى الإسراء، فجعله يُسْرَى به، وما أضاف السرى إليه(١).

وكما حلاه ربه بعبوديته نزهه عن الإعجاب، يقول القشيري: "ولما أراد أن يُعَرِّفَ العباد ما خصَّ به رسوله -ﷺ- ليلة المعراج من علو ما رقَّاه إليه، وعظم ما لقاه به، أزال الأعجوبة بقوله: (أسرى)، ونفى عن نبيه خطر الإعجاب بقوله: (بعبده)؛ لأن من عرف ألوهيته، واستحقاقه لكمال العز، فلا يتعجب منه أن يفعل ما يفعل، ومن عرف عبودية نفسه، وأنه لا يملك شيئًا من أمره، فلا يُعْجَب بحاله"(٢).

والوصول إلى شرف العبودية لا يتحقق إلا بأمرين:

أولهما: اليقين التام بافتقار الإنسان إلى خالقه.

ثانيهما: الشعور بوحدانية الخالق.

ومن هذين الأصلين يلتئم معنى العبودية المجردة عن حظوظ النفس، ويعبر عن هذا المعني القشيري بقوله: "من صدقت لله عبوديته، خلصت عن رق الأغيار حريته"(٣).

وهذا المقام من العبودية هو مقام الصديقين، يقول ابن عربي: "وأن الله -ﷻ- قد برَّأ الصديقين من الأعواض، وطلب الثواب؛ إذ لم يقم بنفوسهم ذلك؛ لعلمهم أن أفعالهم ليس لهم أن يطلبوا عليها عوضًا"(٤).

<u>وجملة القول</u>: أن التحقق بالعبودية المبني على الإيمان بالله، واليقين بوحدانيته من ثمرات

(١) راجع رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ٢/ ٥١٥.

(٢) لطائف الإشارات ٢/ ٣٣٣.

(٣) الرسالة القشيرية صـ٤٨٩.

(٤) رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ٢/ ٤١.

الحرية، وهو المكمل لمفهوم الحرية الكاملة، وما يصح للمكلف أن يكون حرًا في نظر الخلق إلا من الوجه الذي ثبتت له فيه طلاقة الروح، وتحرر من عناء التكاليف.

العبودية وحقيقة الإنسان:

من جهة أخرى: نظر الصوفية إلى العبودية لا باعتبارها ثمرة للطريق الصوفي فحسب، بل باعتبارها حالة، يكتشف من خلالها الإنسان مطلقية عبوديته، ومطلقية ألوهية خالقه تعالى، ومن خلال ذلك يتعرف الإنسان على مفهوم إنسانيته، وعلى حقيقة ذاته.

إن وصول الإنسان إلى تعريف ذاته بكونه عبدًا لله، لا يكون إلا بعد اجتياز الإنسان لعقبات ومراحل عديدة، ينفي فيها كل أنواع التعريفات الأخرى للإنسان؛ فلا اسم، ولا صفة، ولا أي خاصية يمكن أن تستوعب جوهر الكائن، إن كل ذلك عرضي، والحقيقة الوحيدة التي ينطوي عليها جوهر الإنسان هي عبوديته الصحيحة لله، والتي لا تقبل العتق بحال، وبالوصول إلى العبودية يُهيئ الكائن لنفسه الفرصة الحقيقية لتحقيق الحرية، فلا حرية أصيلة عند الصوفي إلا في إطار العبودية(١).

وهذه هي العبودية المحضة التي هي دليل الكمال الإنساني؛ لأنها تقتضي توحيد الله؛ فإن العبودية هي الوجه الأول للتوحيد الذي يتجلى - أولًا - من خلال الاعتراف بالعبودية لله، ثم يتجلى - ثانيًا - من خلال رفض كل ما سوى الله، وبهذه العبودية تتحقق إنسانية الإنسان المُكَرَّم(٢).

والعبودية المحضة تستوجب أن لا ينشغل العبد بالمواهب عن الواهب، يقول الشعراني

(١) راجع الإنسان والحرية صـ٢٦٨.

(٢) راجع العودة إلى الذات صـ٣٦٤، على شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، ط الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٦م.

في بيان آداب عباد الله: "أن لا يقفوا مع شيء من المواهب، التي منحهم إياها سيدهم، وينسون حقوقه عليهم، ومن علم هذا لم يلتفت لسوى الله، ومن رضيَ به لم يسأل ما زُويَ عنه من حظوظ الدنيا والآخرة إذا كان الحق عوضًا له عن كل شيء.

إذا علمت هذا: فالعبد وظيفته امتثال الأمر، واجتناب النهي، إجلالًا لله - تعالى - لا طمعًا في شيء، ولا خوفًا من شيء، وهذا هو اللائق بالأدب؛ لأن العبد إنما يعمل لنفسه، فكيف يطلب أجرًا على ما عمله لها"(١).

وقد سمَّى (محمد بن عبد الجبار النفري، المتوفى عام ٣٥٤ هـ) هذه العبودية المُعَرِّفة لحقيقة الإنسان باسم (العبدانية)، وعرفها بقوله: "العبدانية هي: أن تكون عبدًا بلا نعت، فإن كنت بنعت: اتصلت عبدانيتك بنعتك لا بي، وإن اتصلت عبدانيتك بنعتك لا بي: فأنت عبد نعتك لا عبدي"(٢).

مراتب العبودية:

اختلفت ثمرة العبودية ظهورًا وتجليًا على حسب مرتبة العبد؛ ولقد ميَّز الصوفية بين مراتب العبودية بألقاب مشتقة من مادة (عبد)، يعبر كل لقب عن مرتبة خاصة في العبودية، ومن هنا فقد فرق القوم بين ألفاظ: العبودية، والعبادة، والعبودة، ومن أهم طرق التفرقة بينها ما يلي:

١ - ذكر القشيري عن أبي على الدقاق أنه قال في الفرق بينها: العبودية أتم من العبادة، فالأول عبادة، ثم عبودية، ثم عبودة، فالعبادة للعامَّة، والعبودية للخاصَّة، والعبودة لخاصَّة

(١) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية صـ١٨ ـ ١٩.

(٢) المواقف والمخاطبات، صـ١١١، تأليف: محمد بن عبد الجبار النفري، طبع بعناية وتصحيح: أرثر يوحنا آربري، مكتبة المتنبي، القاهرة.

الخاصَّة[1].

٢ – فرق الإمام القشيري بينهما من طرق عدة، نقلها عن مشايخ الصوفية، ومنها:

أ – العبودة أتم من العبادة؛ لأن العبادة لمن له علم اليقين، والعبودية لمن له عين اليقين، والعبودة لمن له حق اليقين.

ب – العبادة لأصحاب المجاهدات، والعبودية لأرباب المكابدات، والعبودة صفة أهل المشاهدات.

ج – من لم يدخر عن الله نفسه فهو صاحب عبادة، ومن لم يضن عليه بقلبه فهو صاحب عبودية، ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة[2].

٣ – وقد جعل (الحكيم الترمذي، المتوفى عام ٣٢٠هـ) مقامات العبودية الثلاثة اثنتين هما: العبودية، والعبادة، فالعبودية: هي الحالة الأصيلة للكائن، وعند القوم هي حالة فقر الإنسان المطلق إلى الخالق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[الزمر ٢٢].

أما العبادة: فهي تعبير العبد عن هذا الفقر والاحتياج من خلال سلوكه، والعبودية أرقى من العبادة؛ لأن العبودية أصفى من أن تخالطها هنَّات النفس، والعبودية لا تتحقق للإنسان المنغمس في أوحال النفس وشهواتها، الملتفتُ إلى أمانيها وخيالها[3].

(١) راجع الرسالة القشيرية صـ٤٥٣، والكواكب الدرية ٢/ ١٨٢

(٢) راجع الرسالة القشيرية صـ٤٥٤.

(٣) راجع ختم الأولياء صـ١٤٠، تأليف: الحكيم أبي عبد الله محمد بن عليٍّ بن الحسن الترمذي، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيي، طبعة المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

وحاصل ما سبق:

أ – أن العبادة هي أدنى المراتب، وهي مخالفة الهوى، وطاعة الله، تعظيمًا وإجلالًا.

ب – العبودية هي درجة أعلى من العبادة، وتضم إلى ما سبق: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود بأن يتساوى عند العبد النفيس والخسيس.

ج – العبودة هي المقام الأعلى، وهي الفناء عن الأغيار، وعن أوصاف الإنسان، والاستغراق في مشاهدة أوصاف الألوهية والربوبية.

وهنا ملحظ مهم: وهو أن الفرق بين هذه الألفاظ الثلاثة إنما هو وفقًا للغة الخاصة بالصوفية، وسيرًا على اصطلاحاتهم الخاصة، وإلا فإن هذه الكلمات في اللغة ربما لا تفيد المعاني التي قصدها الصوفية؛ ولذلك لم يكن الصوفية على خطأ حينما اصطنعوا لأنفسهم لغة تخصهم، يعبرون من خلالها عن مقاماتهم وأذواقهم.

الخاتمــة

في ختام هذه الدراسة الموجزة، والتي عشنا فيها مع معالم الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود يمكننا أن نخلص إلى أهم النتائج والتوصيات:

ومن أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة ما يلي:

١ - الطريق الصوفي عبودية لازمة صادقة، وبهذا المعنى يكون مساويًا في مفهومه لمفهوم الدين؛ إذ إن التصوف هو قيام بالتكليف، قيام شوق ومحبة، لا قيام كلفة ومشقة.

٢ - لم يتجاهل السادة الصوفية العقل، بل كان العقل أحد أسس منهجهم، وقد بدا ذلك واضحًا من خلال اشتراطهم توفر الإرادة الواعية العاقلة في من يريد سلوك الطريق.

٣ - التصوف ليس اعتزالًا للناس وللمجتمع، وليس قطعًا للأرحام والعلاقات، بل هو تهذيب لهذه العلاقات وتأسيس لها على قاعدة العبودية المقتضية لامتثال أمر الله - تعالى - في المعاملة.

ثانيًا: التوصيات: توصي هذه الدراسة بما يلي:

١ - دراسة التصوف الإسلامي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، بهدف الوقوف على أهم سماته، وتنقيته من كل دخيل، والرد على الشبهات الواردة حوله.

٢ - تخصيص دراسات مستقلة، تتناول مشكلات التصوف الإسلامي تناولًا موضوعيًا: كمشكلة الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، والشطح، والفناء، وغيرها.

٣ - تخصيص بحوث حول أعلام التصوف الإسلامي عبر العصور، لا سيما الذين لم يحظوا بدراسات كافية.

وبعد: فقد حاولت - قدر طاقتي - دراسة وتحليل معالم الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود -رحمه الله- حقيقةً، ومنهجًا، وثمرات، فإن كنت قد وُفِّقْتُ فلله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت، وأنني بشر أخطئ وأصيب، ولله وحده الكمال، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وإليه المرجع والمصير، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم.

١ - أبحاث في التصـوف (مع كتاب المنقذ من الضـلال)، تأليف: د/ عبد الحليم محمود، طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الثامنة، عام ١٩٧٤م.

٢ - إحياء علوم الدين، تأليف: الإمام الغزالي، طبعة سـقيفة الصـفا العلمية، لبوان، ماليزيا، طبعة خاصة للأزهر الشريف، عام ٢٠٢٠م.

٣ - الأنوار القدسـية في بيان آداب العبودية، تأليف: الإمام الشـعراني، ط المكتبة الشـعبية، بمصر، بدون.

٤ - تاريخ التصـوف الإسـلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني الهجري، طبعة وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٥م.

٥ - تذكرة الأولياء، تأليف: فريد الدين محمد بن أبى بكر بن إسـحاق العطار، تحقيق: محمد أديب الجادر، طبعة إيران، عام ٢٠٠٨م.

٦ - التصـوف الثورة الروحية في الإسـلام، د/ أبو العلا عفيفي، طبعة الهيئة المصـرية العامة للكتاب، عام ٢٠١٣م.

٧ - التعرف لمذهب أهل التصوف، تأليف: أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، تحقيق: آرثر جون آربري، نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٤م.

٨ - حقائق عن التصـوف، للعلّامة الشـيخ/ عبد القادر عيسـى، طبعة دار العرفان، حلب، سورية، الطبعة السادسة عشرة، عام ٢٠٠٧م.

٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم الأصفهاني، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٦م.

١٠ - رحمة الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، جمع: محمود محمود الغراب، مطبعة نضر، دمشق، ط أولى ١٩٨٩.

١١ - رسالة التوحيد، تأليف: الإمام محمد عبده، ط الهيئة العامة للكتاب، عام ٢٠٠٥م.

١٢ - رسالة في اصطلاحات الصوفية، تأليف: الشيخ الأكبر، محيي الدين ابن عربي، ط مكتبة عالم الفكر بالقاهرة، بدون.

١٣ - الرسالة القشيرية، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، طبعة سقيفة الصفا العلمية، لبوان، ماليزيا، عام ٢٠١٦ (طبعة خاصة للأزهر الشريف).

١٤ - شفاء السائل وتهذيب المسائل، تأليف: ابن خلدون، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط أولى، عام ١٩٩٦م.

١٥ - شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، د/ عبد الرحمن بدوي، طبعة مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، عام ١٩٦٣م.

١٦ - صفة الصفوة، تأليف: أبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: خالد طرطوسي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠١٢م.

١٧ - طبقات الأولياء، تأليف: سراج الدين بن الملقن، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٣م.

١٨ - الطبقات الصوفية، تأليف: أبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: الأستاذ/ أحمد الشرباصي، طبعة مؤسسة دار الشعب، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٨م.

١٩ - الطبقات الكبرى، المسماة ب - (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، تأليف: أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، طبعة المكتبة الشعبية، بدون.

٢٠ - الطريق إلى الله، تأليف: أبي سعيد الخراز، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ.

٢١ - فلسفة الأخلاق الصوفية عند ابن عربي، بحث للدكتور/ توفيق الطويل ضمن الكتاب التذكاري عن محيي الدين بن عربي، طبعة دار الكاتب العربي، عام ١٩٦٩م.

٢٢ - القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، طبعة دار الحديث، القاهرة، عام ٢٠٠٨م.

٢٣ - قوت القلوب في معاملة المحبوب، تأليف: أبي طالب المكي، تحقيق: محمود إبراهيم محمد، ط مكتبة دار التراث، ط أولى، عام٢٠٠١م.

٢٤ - كشف المحجوب، تأليف: أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، تحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠٧م.

٢٥ - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تأليف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد أديب الجادر، طبعة دار صادر، بيروت، بدون.

٢٦ - لسان العرب، تأليف: جمال الدين بن منظور، طبعة دار صادر، بيروت.

٢٧ - لطائف المنن، أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، ط: دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٢٨ - اللمع، تأليف: أبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر، عام ١٩٦٠م.

٢٩ - مائية العقل وفهم القرآن، تأليف: الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: د/ حسين القوتلي، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٩٧١م.

٣٠ - مشـــارق أنوار القلوب ومفـاتح أسـرار الغيوب، تـأليف: عبد الرحمن بن محمد، المعروف ب - (ابن الدباغ)، تحقيق: هلموت ريتر، ط دار صادر، بيروت، بدون.

٣١ - المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي، ط مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

٣٢ - معجم اصـطلاحات الصـوفية، تأليف: عبد الرازق الكاشـاني، تحقيق: د/ عبد العال شاهين، طبعة دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٢م.

٣٣ - معراج التشـوف إلى حقائق التصـوف، تأليف: عبد الله أحمد بن عجيبة، تحقيق: عبد المجيد خيالي، طبعة مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.

٣٤ - المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٣٥ - المواقف والمخاطبات، تأليف: محمد بن عبد الجبار النفري، تحقيق: أرثر يوحنا آربري، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٣٦ - نتائج الأفكار القدسـية في معاني الرسـالة القشـيرية، تأليف: شـيخ الإسـلام زكريا الأنصاري، طبعة مكتبة الإيمان بالقاهرة، بدون.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

المُلخـص ٤٥٩

المقدمـــة ٤٦١

المبحث الأول: حقيقة التصوف عند الإمام عبد الحليم محمود. ٤٦٥

أاشتقاق كلمة تصوف ٤٦٥

مفهوم التصوف اصطلاحًا ٤٦٧

المبحث الثاني: جوهر الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود........ ٤٧١

أصل ومستند الطريق الصوفي عند الإمام عبد الحليم محمود ٤٧٢

مقامات وأحوال السائرين إلى الله تعالى ٤٧٤

١ - التوبة ٤٧٤

٢ - الورع ٤٧٨

٣ - الزهد ٤٧٩

٤ - التوكل ٤٨٦

٥ - الرضا ٤٨٨

٦ - المحبة ٤٩٠

المبحث الثالث: أهم ثمرات الطريق الصوفي. ٤٩٥

العبودية وحقيقة الإنسان ٤٩٨

مراتب العبودية ٤٩٩
الخاتمــة ٥٠٢
مصادر ومراجع البحث ٥٠٣
فهرس موضوعات البحث ٥٠٧